السلف و السلفية في الفكر الإسلامي

Amal Fathullah Zarkasyi
Institut Studi Islam Darussalam (ISID) Gontor
Email: amal_fathullah@maktoob.com

Abstract

The principles of salafiah approach can be summarized into three distinguished characteristics: first is comprehension, second is authenticity or originality and not imitation (*taqlid*), while the last is improvement or progress and not conservatism. Salafiah is in fact not inconsistent with the progress and improvement, while their calling for returning to the original and main sources is approved by the religion and not in contradiction with the reality of Muslim. Moreover, it is a valid approach in achieving a better life in this world and hereafter. The objectives of salafiah are to purify the faith from the heresies (bid'ah), to educate Islamic personality, to open human mind to accept all the new in the fields of the experimental sciences, and to establish the faith from its sources which is far from the emerging narrow-minded religion sects recently. Finally, the salafist open widely to the experimental sciences, to the uses of scientific results, to the great invention in industrial sector and to the modern technology as they are very useful to support and sustain the Islamic teachings in the context of a more beautiful life with a less difficulties.

Keywords: Al-Muḥāfiẓ, al-raj'iy, al-ta'wil al-kalamy, al-syumūl, al-aṣālah.

مقدمة

إن مصطلح السلف والسلفية قد أشار الجدل والنقاش بين الكتاب والباحثين من المسلمين المثقفين في حياتنا الفكرية الدينية في الماضي أو الحاضر،

وأنهم يفهمون هذا المصطلح حسب تصور عقولهم وثقافتهم، ولذا فإن البعض قد أصاب في تحديد معناه و لم يصب البعض الآخر في ذلك.

هناك من يرون أن السلف والسلفية عبارة عن الحركة الإسلامية التي كانت أكثر تحرارا من البدع والخرافات في الحياة الدينية. و هناك من يرون بأن السلف و السلفيين عبارة عن التيار المحافظ و الجامد بل الرجعي , في حياتناالفكرية , و في القكر الديني علي الوجه الخصوص. و هناك من يرون بأن السلفية و السلفيين عبارة عن حركة منادية بالتجديد الديني و ضرورة فك أسار العقل من قيود الخرافات و البدع و التقليد.

كما هناك أيضا من يرون أن السلف والسلفية عبارة عن مذهب المحافظين الذي يحاول دائما المحافظة على أصالة الدين الإسلامي في الحياة الدينية وفي مواجهة تحديات العصر والزمان.[1]

---

[1] محمد عمارة , **تيارات الفكر الإسلامي** , كتاب الهلال , القاهرة , ١٩٨٢, ص ١٨٨-١٨٩. . و رفض الدكتور محمد سعيد البوطي في كتابه "**السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي**" مصطلح مذهب السلف, بحجة أن في زمن الصحابة لم يكن هناك مذهب, و لذلك يتمذهب بالمذهب السلفي يعتبر بدعة. صحيح أن مصطلح مذهب لم يظهر في زمن الرسول و الصحابة' بل بدأ ظهوره في القرن الثالث الهجري جنبا الي جنب مع ظهور العلوم الإسلامية كعلم الكلام و علم التصوف و علم الفقه و علم التفسير و علم الحديث و علم النحو, و هذه العلوم اشتهرت في زمن الرسول بالعلوم الشريعة الإسلامية. و لأن علماء السلف في حقيقة الأمر يختلف بالفلاسفة و المتكلمين من حيث المنهج و الآراء (المذهب) في دراسة العقيدة, و نظرا إلي المنهج العلمي المعروف يمكن استخدام هذا المصطلح في مجال العلوم الإسلامية.(إبراهيم بن محمد بن عبد الله البرتكاني, **تعريف الخلف بمنهج السلف** , دار ابن الجوزي, المملكة العربية السعودية, ١٩٩٧, ص ١١-٥٧.

ولأجل الإلمام بحقيقة معنى السلف والسلفية بمفهومها السليم كما أراده السلفيين وأصحاب المنهج السلفي في إطار ديننا الإسلامي, شرعنا في محاولة تعريفهما بصورة موضوعية، تحديدا لمعيار الاتجاه السلفي الذي تم تطبيقه بإندونيسيا – اللب الأساسي لهذا البحث– حتى نستطيع أن نبين مدى ارتباط هذا الاتجاه بالسلف الصالح.

ولأجل معرفة معني السلف و السلفية فيجدر بنا أن نتلمس معني هذا المصطلح من القرآن الكريم , فإننا نجد أن "السلف" يعني "الماضي " و ما سبق الحياة الحاضرة التي يحياها الإنسان (فمن جا ء ه موعظة من ربه فانتهي فله ما سلف)[٢]

(و لا تنكحوا ما نكح آبآ ؤكم من النساء إلا ما قد سلف.)[٣] و السلف هنا معناه "الماضي " و ما سبق و تقدم علي الحياة الحاضرة للإنسان.

و نفس هذا المعني يدل علي هذا المصطلح في الحديث النبوي الشريف : قال رسول الله صلي الله عليه و سلم :" الحقني بسلفنا الصالح الخير عثمان بن مظعون" و أيضا عن فاظمة الزهراء رصي الله عنها , أن رسو لالله صلي الله عليه و سلم قال لها في مرض موته :" .. و لا أراه إلا قد حضر أجلي .. إنك أول أهل بيتي لحوقابي , نعم السلف أنا لك".[٤]

---

[٢] سورو البقرة : ٢٧٥.

[٣] سورة النساء :٢٢

[٤] أحمد بن حنبل , **سنن أحمد بن حنبل** ,

و في المعاجم العربية لا يختلف مضمون هذا المصطلح عن ذلك الذي وجدناه له في القرآن و الحديث .. و في لسان العرب لإبن منظور معني السلف هو المتقدم, و في المعجم الوسيط معني السلف هو كل ما تقدمك من آبآءك و ذوي قرابتك في السن أو الفضل, و كل عمل صالح قدمته.[٥]

و نحو ذلك نجد أيضا مضمون المصطلاح قي معجم كشف اصطلاحات الفنون للتهاني حيث أن معني السلف هو كل ما تقدم من آبآ ئك و قرابتك فهو سلف لك.[٦]

وبعد عرض هذا التعريف اللغوي من القرآن الكريم و الحديث النبوي و المعاجم العربية و في تراثنا قد أجمعت علي أن معني "السلف" هو الماضي و المتقدم , و علي أن "السلفيين " هم الذين يحتذرون حذو هذا الماضي و المتقدم و السالف.

لكن هذا التحديد الجلي لم يستطيع وحده أن يرفع الغموض عن مضمون مصطلح" السلفية" , لأن الماضي و السالف سيظل غير محدد, لأنه متعدد في تطبيق معناه في الفنون. فهل هذا١لمعني يرجع الي الكتاب و السنة؟ أم أن فيه المأثورات المروية عن الصحابة؟ و هل هو تلك النصوص وحدها ؟أم أن فيه مذاهب التابعين و تابعي التابعين ؟؟ حتي إذا كان هذا ١لسلف هو النصوص , قرآنا و سنة , فإن تفسيرها و رؤيتها قد تعددت بتعدد المناهج في المدارس الفكرية و الفرق و التيارات.

---

[٥] المعجم الوسيط , ص ٢٥

[٦] التهاني , **كشق مصطلاحات الفنون**, ص

و لأجل معالجة هذه المشكلة, يجدر بنا الرجوع الي مصطلح قي مجال علم الكلام و العقيدة, حيث أن المراد بالسلف تاريخيا هم الصحابة والتابعون من أهل القرون الثلاثة الأولى، أما مذهب السلف فإنه يطلق على ما كان عليه هؤلاء ومن تبعهم من الأئمة كالأئمة الأربعة وسفيان الثوري بن عيينة والليث بن سعد وعبد الله بن المبارك والبخاري ومسلم وسائر أصحاب السنن، الذين اتبعوا طريق الأوائل جيلا بعد جيل، دون من وصف بالبدعة، كالخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية والمعتزلة وغيرهم.[٧]

وإذا أردنا أن نلتمس الدليل لتأييد هذا المفهوم السلفي، فيمكننا أن ننظر إلى الكتاب والسنة وكلام الصحابة. فقد قال تعالى "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه"[٨]

وقال النبي في الأحاديث الصحيحة : "خير القرون القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.[٩] وكان عبد الله ابن مسعود ﷺ يقول: "من كان منكم مستنا فلستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه فاعفوا لهم حقهم، وتسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. [١٠]وأوضح

---

[٧] أحمد بن حجر : **العقائد السلفية** ص ١١، وأيضا كتاب **قواعد المنهج السلفي**، للدكتور مصطفى حلمي، طبعة ٢ ص ٢٥٣.

[٨] سورة التوبة : ١٠٠ .

[٩] رواه البخاري ومسلم، **وسنن الترمذي**، باب الفتن ٤٥ وأحمد ابن حنبل، ٣٥٧/٥.

[١٠] رواه البخاري ومسلم، **وسنن الترمذي**، باب الفتن ٤٥ وأحمد ابن حنبل، ٣٥٧/٥.

الدكتور محمد السيد الجليند هذا المصطلح فذكر أن كلمة "السلف" ينبغي أن يراعي عند إطلاقها اعتباران: [11]

الاعتبار الأول : اعتبار زمني، فلا ينبغي أن نتجاوز القرن الثلاثة الأولى بحال ما ندعى أن هذا القول أو ذلك هو قول السلف. وهذه القرون الثلاثة هي التي يمكن أن نتصور أنها تستوعب في وعائها الزمني الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين لأن هذه الأجيال الثلاثة هي المقصودة بقول رسول الله : "خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.....".

الاعتبار الثاني : أن يكون الرأي الملتقى من هذه الأجيال معبرا عما في الكتاب والسنة نصا وروحا. ليس السبق الزمني كافيا في ذلك بل لابد أن يضاف إليه الاعتبار الثاني، لأن هناك من عاش بين الصحابة والتابعين بل في عصر الرسول وكانوا رؤوسا للفتن ومثارات للخلاف. فمن خالف رأيه الكتاب والسنة فلا يعد من السلف وإن عاش بين أظهرهم.[12] وبهذين الاعتبارين أصبح مفهوم السلف شاملا ومتكاملا عما كان من التعريف الأول عند ابن حجر.

أما الذين أتوا بعد القرون الثلاثة الأولى وكانوا معبرين في اتجاههم وآرائهم عن موقف السلف، فلا ينبغي أن نطلق على هؤلاء كلمة "السلف" وإنما الأولى بهم أن يسموا "سلفيون" نسبة لهم إلى السلف الحقيقيين.[13]

---

[11] .د./ محمد السيد الجليند : **دراسة في مذهب السلف**، كلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة ١٩٧٦ – ١٩٧٧ ، ص ١٦.

[12] د./ محمد الجليند : **المرجع السابق**، ص ١٧.

[13] نفس المرجع.

و إذا كان ابن حجر يحدد السلف بالصحابة و التابعين و تابعي التابعين قي الصفحة السابقة, فالغزالي و ابن تيمية يحددان السلف بالصحابة و التابعين.[١٤]

فالسلفية من حيث المصطلح. أصبحت علما على أصحاب منهم الاقتداء بالسلف من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين من أهل القرون الثلاثة الأولى، وكل من تبعهم من الأئمة الأربعة. الثوري وسفيان بن عيينة والليث بن سعد وعبد الله بن المبارك والبخاري ومسلم وسائر الصحابة السنن. وشمل هذا المفهوم شيوخ الإسلام المحافظين على طريقة الأوائل مع تباين العصور وتفجر مشكلات وتحديات جديدة أمثال ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب، وكذلك أصحاب أغلب الاتجاهات السلفية بالجزيرة العربية والقارة الهندية ومصر وشمال أفريقيا وسوريا.[١٤] والواقع أن السلفية كانت ذات أثر واضح في تنقية مفاهيم الإسلام دفعة إلى الأمام لمواجهة الحضارة والتطور، والكشف عن جواهر الثقافية العربية الإسلامية والأصلية القادرة على الحياة في كل جيل وكل بيئة.[١٦]

وإذا كان مصطلح "السلفية" السابق الذكر ينحصر في منهج الاقتداء بالسلف (كمفهوم تاريخي)، دون إضافة الاعتبار الآخر وهو الالتزام والولاء بالكتاب والسنة، فإن هذا المفهوم لم يكتمل بعد إلى حد جامع ومانع لمصطلح السلفية الحقيقي، وفي هذا المجال نشير إلى ما ذكره الشيخ محمد الغزالي عن

---

[١٤] أبو حامد الغزالي . **إلجام العوام عن علم الكلام**, ص ٥

[١٤] د./ مصطفى حلمي : **السلفية**، ص ٥-٦

[١٦] أنور الجندي : **الإسلام والثقافة العربية في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب**، مطبعة الرسالة، بدون تاريخ، القاهرة , ص ٤٩.

السلفية في قوله : "إنها ليس فرقة من الناس تسكن بقاعا من جزيرة وتحي على نحو اجتماعي معين، وإنما السلفية نزعة عقلية وعاطفية ترتبط بخير القرون، وتعمل ولاءها للكتاب والسنة وتحشد جهود المسلمين المادية والأدبية لإعلاء كلمة الله، دون نظر إلى عرق أولون، فهمها للإسلام وعملها يرتفع إلى مستوى عمومه وخلود، وتجاربه مع الفطرة وقيامه على العقل."[١٧]

وقد ظهر هذا المصطلح في مقابل انحرافات كانت تأخذ مجراها في تاريخنا العقدي والثقافي، فبدأ التمييز بين المثبتين للصفات الآلهية، والنافين لها[١٨]، وبين من قالوا بخلق القرآن ومن قالوا بأنه غير مخلوق، وبين من قالوا بإمكان رؤية الله في الآخرة دون الدنيا ومن قالوا بعدم إمكانها في الدنيا والآخرة، غير ذلك من القضايا العقائدية التي طرحت في القرون الثلاثة الأولى، وظهور مصطلح السلف والسلفية هنا بمثابة رد فعل لظهور آراء دخيلة على الإسلام مخالفة لمفهوم الكتاب والسنة، قال بها المعتزلة والقدرة والخوارج والشيعة والمرجئة وغيرها. ومن هنا فقد صنف السلف في هذه القرون مؤلفات ورسائل كثيرة في المجال العقائدي، شرحوا فيها العقيدة الإسلامية الصحيحة التي توافق الكتاب والسنة وردوا على الآراء المخالفة، فقد ألف الإمام أحمد بن حنبل كتاب الرد على الجهمية والزنادقة.

---

[١٧] الشيخ محمد الغزالي : **دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين**، **دار الأنصار**، القاهرة، ١٤٠١ هـ ص ١٢٠-١٢١ و**السلفية** ص ٥٠.

[١٨] المصدر السابق

وألف البخاري كتاب خلق أفعال العباد والرد على الجهمية، وألف ابن خزيمة كتاب التوحيد، وغيرها كثير من الكتب التي تمثل آراء وعقيدة السلف الصالح.[١٩]

ويبدو أن هذا المصطلح قد استخدم أيضا للتعبير عن أهل الفقه والحديث، لتمييزهم عن المتكلمين والصوفية والفلاسفة، كما أصبح علما في العصر الحديث على أهل التوحيد منذ ظهور حركة محمد بن عبد الوهاب.[٢٠] وأنه يعبر أيضا حركة الإصلاح والتجديد عند أصحاب الاتجاهات السلفية المعاصرة من أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ورشيد رضا والأمير شكيب أرسلان وخير الدين التونيسي.

وأما الحركة السلفية التي وجدت عند الإمام عبد لحميد بن باديس ومحمد على السنوسي، ومحمد أحمد عبد الله المهدي السوداني في إفريقيا، والإمام بونجول بإندونيسيا، فقد كان ظهورها بمثابة المقاومة ضد الاستعمار الغربي العسكري والسياسي والثقافي، ولكنها لم تقتصر على مقاومة الاستعمار ، بل أنها اهتمت أيضا بالدعوة إلى العودة إلى منابع الإسلام الأولى في حل القضايا الدينية، وتطهير العقيدة من أدران البدع والخرافات، وفتح باب الاجتهاد ونشر الإسلام في البلاد التي لم ينتشر فيها.

وقد حاول خصوم الإسلام النيل من هذه الحركة، ووصفوها بالتشدد ونوضح ذلك بما ذكره أستاذنا الدكتور مصطفى حلمي في قوله : "وسمي المستشرق الفرنسي الشهير "ماسينون" هذه الحركة بحركة السلفيين المتشددين وما

---

[١٩] د./ على سامي النشار وعمار جمعي الطالبي : **عقائد السلف**، منشأة المعرفة، الاسكندرية، ١٩٧١، ص ٦.

[٢٠] د./ مصطفى حلمي : **السلفية**، ص ٧.

هي في حقيقتها إلا انتفاضة إسلامية تبغي التخلص من نير الاستعمار الغربي، وقد أعطت هذه الحركة لمفهوم السلفية بعدا جديدا في عصرنا الحاضر، إذ أخذت على عاتقها كما فعلت الأجيال السابقة من أصحاب نفس المنهج المحافظة على أصلة الأمة الإسلامية في عقيدتها وشريعتها وأخلاقها حتى لا تتميع أو تهتز تحت ضربات الغزو الأجنبي.[٢١]

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الإتجاهات المعادية، مثل الاتجاه العلماني والاتجاه المادي والإلحادي، والاتجاه التغريبي وغيرها من الاتجاهات الحديثة المنحرفة التي ظهرت بين المسلمين، كالأحمدية القاديانية، والبهائية، والباطنية،. وهذه الاتجاهات كلها اتجاهات معادية للإسلام التي تحاول التشكيك في عقائده وتشويه مبادئه وشريعته و إبعاد المسلمين عن الإسلام بل هدم الإسلام بصفة كلية.

وعلى الرغم من أن هذه الحركات السلفية تختلف في مظاهرها ومشكلاتها المتفجرة، باختلف الزمان والمكان، إلا أن جوهرها واحد وهي حركة إسلامية بسلسلتها الطويلة الأمد التي تهدف إلى غاية واحدة وهي المحافظة على العقيدة الإسلامية في صفائها ونقائها، والتصدى، للاتجاهات المعادية للإسلام، إعلاء لكلمة الله في الأرض.

السلف والخلف

لقد ذكرنا فيما سبق أن معنى السلف تاريخيا هم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين من أهل القرون الثلاثة الأولى، ثم أصبح مع التطور التاريخي لظهور

[٢١] نفس المصدر ونفس الصفحة.

الفرق الإسلامية منحصرا في المدرسة السلفية التي حافظت على العقيدة والمنهج الإسلامي –طبقا لفهم الأوائل– الذي تلقوه جيلا بعد جيل، وأبرز سماتها هو التمسك بمنهج النقل، ولهذا عرفوا في البداية بأنهم أهل الحديث للتمييز بينهم بين الفرق المنشقة عن الجماعة الإسلامية الأولى.[٢٢]

وكذلك فإنهم عرفوا في أحد الأدوار باسم أهل السنة والجماعة، استنادا إلى الأحاديث التي تحض على الارتباط بالجماعة وتدعو إلى كراهية الاختلاف والفرقة. ولما كانت كل فرقة من الفرق الإسلامية قد أعلنت ارتباطها بالسنة وإنها هي الجماعة أو الفرقة الناجية الواردة في الحديث المعروف[٢٣]، كان من الواجب علينا أن نبين التفسير الصحيح لهذا الحديث النبوي وأن نحدد الجماعة الناجية.

والواقع أن الشاطبي قد حاول أن يوضح ذلك فذكر الأقوال الخمسة التي فسرت الجماعة وهذه الأقوال هي :

---

[٢٢]. د./ مصطفى حلمي : **قواعد المنهج السلفي**، الطبعة الثانية، دار الدعوة، الاسكندرية، ١٩٨٤، ص ٢٣.

[٢٣] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة" رواه الترمذي.

-- وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ :"ليأتي على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، تفرق بنوا إسرائيل على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة تزيد عليهم ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا : يا رسول الله وما الملة التي تتغلب؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي".

-- وعن أنس عن النبي ﷺ قال : "إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة" (كتاب **الفرق بين الفرق** للبغدادي) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ص ٤-٧.

أولا : إنها السواد الأعظم من المسلمين ويشرط أن يدخل في الجماعة بهذا المعنى المجتهدون والعلماء وأهل الشريعة العاملون بها.

ثانيا : هم جماعة العلماء المجتهدين وهم أئمة المسلمين الذين ينبغي الاقتداء بهم.

ثالثا : إنهم الصحابة على وجه التحديد لأنهم أرسوا قواعد الدين.

رابعا : أنهم جماعة أهل الإسلام إذا ما أجمعوا على أمر استنادا إلى ما ذهب إليه الإمام الشافعي (٢٠٤ هـ- ٨١٩ م) من استبعاد الغفلة عن الجماعة -التي يشترط فيها وجود المجتهدين- ومن ثم فهي القادرة على استخلاص معنى الكتاب والسنة.

خامسا : ويقصد بهم جماعة المسلمين الذين اجتمعوا على إمام موافق للكتاب والسنة.[٢٤]

وبهذه التفسيرات يمكن أن نفهم أن أهل السنة والجماعة هم السواد الأعظم من المسلمين ويوجه خاص العلماء المجتهدين الذين التزموا بالكتاب والسنة نصا وروحا، وفي مقدمتهم الصحابة وثم التابعون وتابعوهم، ولذا فهم عرفوا بالسلف أيضا.

ومن المعلوم بالضرورة أن السلف من الصحابة أفضل المسلمين إيمانا وإسلاما، دينا وعقلا، طرقا ومنهجا ممن كانوا بعدهم، فلقد مدحهم الله تعالى في القرآن الكريم بقوله :

---

[٢٤] الشاطبي : **الاعتصام** ، ج ٢، ص ٢٦٠-٢٦٤، وأيضا كتاب **قواعد المنهج السلفي**، ط ٢، ص ٢٤-٢٥.

"السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ورضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا، ذلك الفوز العظيم" [٢٥]

وكذلك مدحهم النبي ﷺ بقوله :"خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" [٢٦]

ومن هنا نعلم أنهم الممثلون الحقيقيون للمنهج السلفي، وقد استمر هذا المنهج حيا عند التابعين وتابعي التابعين، ولما كانت الجهمية والمعتزلة والخوارج وغيرهم قد جاؤوا بآراء مخالفة للنصوص الدينية فإن السلف قد قاوموا هذه الفرق مقاومة مستميتة، فقاموا بنصر السنة والعقيدة دفاعا عن دينهم، وذلك عن طريق تأليف الكتب المعبرة عن آراء السلف الموافقة للكتاب والسنة.

وعلى أي حال إننا إذا تتبعنا شيوخ السلفيين الأوائل، فإننا نجد ثمة روابط موضوعية تجمع بين الفكر السلفي على مر العصور كما أن لمذهبهم سمات خاصة ومعالم بارزة، فهم في العقائد يتمسكون بفهم الصدر الأول المنقول بواسطة أئمة المحدثين.[٢٧]

ولكن ينبغي أن نشير إلى أنه "لا يكفي للتعرف على المدرسة السلفية متابعتها تاريخيا، لأن شيوخها أخذوا في المراحل التاريخية المختلفة يفصلون المذهب ويقيمون قواعد، ويحددون أركانه لكي تتضح صورته وتظهر معالمه في وسط طوفان مذاهب الفرق الأخرى المتعددة التي أخذت تتزايد وتتشعب. ولقد

---

[٢٥] سورة التوبة : ١٠٠.

[٢٦] رواه البخاري ومسلم، الترمذي, باب الفقه ٤٥، أحمد بن حنبل ٥/٣٧٥.

[٢٧] د. / مصطفى حلمي : **قواعد المنهج السلفي** ص ٢٩.

ضمّت هذه المدرسة بين جنباتها أصحاب الحديث والفقهاء والمفسرين والزهاد، وكانوا جميعا مخلصين لمنهج النقل".[٢٨]

ومن أبرز أئمة السلف الذين نصروا السنة ودافعوا عنها الإمام أحمد بن حنبل، وأنه قد استشهد من أجل العقيدة السلفية في محنة القرآن، وكانت هذه المحنة نقطة تحول لأن يكون أحمد بن حنبل إماما للمذهب السلفي أو مذهب أهل السنة والجماعة.

وقد استمرت المدرسة السلفية بعد الإمام أحمد بن حنبل في أتباع المنهج الشرعي –وهم أهل الحديث– أتباع الإمام أحمد بن حنبل الذين اطلق عليهم اسم "الحنابلة"، إلى أن ظهر أبو الحسن الأشعري.[٢٩] بمذهب الجديد، الذي أسسه بعد أن ترك مذهب المعتزلة وتحول عنه. فبعد خروجه على المعتزلة وتحوله عن مذهبهم تاب وتبرأ منهم وأخذ يدافع عن العقائد السلفية باستخدام المنهج الكلامي في مواجهة المعتزلة –ويتضح هذا الموقف في كتابه "الإبانة" وكتابه "مقالات الإسلاميين"–.

ثم أعلن أتباع أبي الحسن الأشعري –الأشاعرة– إنهم يدافعون عن العقيدة السلفية بواسطة علم الكلام أو الطرق العقلية، وأنهم يعدون امتدادا

[٢٨] المصدر السابق، نفس الصفحة.

[٢٩] هو على بن إسماعيل بن بابي بشر اسحق سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن موسى الأشعري، عاش فيما بين عامي ٢٦٠-٣٢٤ هـ/٨٧٥-٩٣٩م، فهو مؤسس مذهب أهل السنة والجماعة (الأشعري). مقدمة كتاب "**الإبانة**" تحقيق دكتورة فوقية حسين محمود، ص ٩-٢٠.

للسلف واطلقوا على أنفسهم اسم "الخلف" تمييزات لهم عن سبق الإمام أبا الحسن الأشعري.[٣٠]

وإذا كان الأشعري أقرب إلى مذهب السلف وأهل الحديث في بعض المسائل العقائدية وغيرها، فذلك يرجع إلى اقتدائه بالإمام أحمد بن حنبل، وانتسابه إلى السنة والجماعة كما سمي مذهبه بمذهب أهل السنة والجماعة، ولكن الأشاعرة –وخصوصا الأشاعرة المتأخرين– رغم محاولتهم التوسط بين السلف والمعتزلة، فإنهم مالوا إلى الفلسفة، وخلطوها بالكلام، كما نرى لدى الإيجي والغزالي والرازي وغيرهم.

ومن هنا كانوا يعلنون أن "السلف هم الأسلم والخلف هم الأعلم و الأحكم"، ولعل هذا التصريح يرجع إلى تمسكهم الشديد بالمنهج الكلامي يعتمد على الجدل، والميل أحيانا إلى التأويل، بل ربما وصفوا السلف بالجهل لتفويضهم المراد إلى الله تعالى وعدم تأويلهم للنصوص المتشابهة، مع أن الواقع ليس كذلك.

فإن فضل السلف على الخلف –في الإيمان والإسلام، وفي العقل والعلم، وفي الدين والعبادة، وفي الطريقة والمنهج– أمر معلوم يقره الكتاب والسنة، إلى جانب واقع التاريخ الإسلامي، ولو لم يكن كذلك لما دافع الأشعري والإشاعرة أنفسهم هذا المذهب السلفي، فضلا عن انتسابهم إليه.

وإذا كان السلف قد رفضوا علم الكلام وعارضوه، و لم يسلكوا مسلك المتكلمين في دراسة العقيدة، فإن هذا لا يعني أن "السلف الصالح يعارضون جنس النظر والاستدلال ولكن المعارضة اتجهت إلى الأساليب الكلامية المستقاة من

[٣٠] **قواعد المنهج السلفي**، ص ٣١.

الفلسفة اليونانية" [٣١] التي لم يعرفها السلف الصالح بل اعتبرها ليست من طريقة المرسلين.

وإذن فإن الفرق الرئيسي بين السلف والخلف هو في المنهج الذي سلكه كل منهما، ولكن كثيرا من الباحثين اليوم مازالوا يعتبرون كلاهما من مذهب أهل السنة والجماعة وخصوصا في مجال العقيدة والتفسير، فضلا عما يمتاز به هذا المذهب عن الفرق الإسلامية الأخرى كالشيعة والمعتزلة.

لا شك أن موقف السلف من الآيات المتشابهة ورفضهم للتأويل يرج إلى أمرين:

أحدهما : المنع الوارد في التنزيل في قوله تعالى :

"فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب" [٣٢]) فإنهم قد احترزوا عن الزيغ.

والثاني : أن التأويل مظنون بالاتفاق، والقول في صفات الباري بالظن غير جائز، فربما أولنا الآية على غير مراد الباري تعالى فوقعنا في الزيغ، بل نقول كما قال الراسخون في العلم "كل من عند ربنا" آمنا بظاهره، بباطنه، ووكلنا علمه إلى الله تعالى، ولسنا مكلفين بمعرفة ذلك، إذ ليس لك من شرائط الإيمان وأركانه.[٣٣]

---

[٣١] المصدر السابق، ص ٨٥.

[٣٢] سورة آل عمران :٧

[٣٣] الشهرستاني : **الملل والنحل**، ج ١، تحقيق محمد سيد كيلاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٦، ص ١٠٤-١٠٥.

وهذا الموقف الأخير من بعض خصائص المذهب السلفي، الذي يمتاز بها عن باقي الفرق الكلامية والمذاهب الفلسفية، وسوف نحاول توضيح هذه الخصائص ونلقى عليها مزيدا من الضوء من خلال الحديث عن قواعد المنهج السلفي فيما يلي.

ثانيا: قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي

إنه لمن المعلوم أن السلف الصالح هم المثل الأعلى والقدوة الحسنة لمن بعهم في جميع أمور الدين وخاصة في مجال العقيدة، ولكننا قد لاحظنا أن المسلمين كلما امتد بهم الزمن بعدوا عن عصر الصحابة، كلما اختلفوا وظهرت بينهم الفرق والأحزاب، وقد حاولت كل فرقة أن تنتسب إلى السلف الصالح، وكان من الضروري والأمر كذلك "أن تكون هناك قواعد منهجية للإجاه السلفي تميزه عن مدعى الانتساب للسلفية".[٣٤] وسوف نحاول أن نتحدث فيما يلي عن أهم هذه القواعد.

القاعدة الأولى : تقديم الشرع على العقل

إن السلف في تقرير العقيدة ينهجون منهجا خاصا، إذ أنهم يبدؤون بالشرع ثم يخضعون العقل له، ومن ثم فإنهم يقدمون الرواية على الدراية والنظر العقلي، ولكنهم يدافعون عن أنفسهم بالقول بأن العقل يتفق مع الشرع. [٣٥]

---

[٣٤] قواعد المنهج السلفي، ص ٢٥٣.

[٣٥] المصدر السابق، صم ٢٥٤.

أوضح ابن تيمية هذه القاعدة في كتابه القيم "درء تعارض العقل والنقل" بأن الدليل الشرعي قد يكون عقليا وقد يكون سمعيا. ويراد بالدليل الشرعي: أن الشرع أثبته ودل عليه، وإذا كان معلوما بالعقل فيكون هذا الدليل شرعيا عقليا، كالأدلة التي نبهها الله تعالى في القرآن الكريم و توحيده وصدق رسله وإثبات صفاته وعلى المعاد التي يعلم صحتها بالعقل، وهي براهين ومقاييس، ومع ذلك فإنها شرعية. أما الدليل الشرعي الذي لا يعلم صحته إلا خبر الصادق فيكون هذا دليلا شرعيا سمعيا. [٣٦]

ولكن كثيرا من المتكلمين يظنون أن الأدلة الشرعية منحصرة في خبر الصادق فقط، وأن الكتاب والسنة لا يدلان إلا من هذا الوجه ولهذا يجعلون أصول الدين نوعين : العقليات والسمعيات، ويجعلون القسم الأول مما لا يعلم بالكتاب والسنة.

وهذا الرأي ليس صحيحا، لأن القرآن والسنة دلا على الأدلة العقلية وبيناها ونبها عليها. ذلك لأن الأدلة العقلية ما يعلم بالعيان ولوازمه، كما قال تعالى :

"سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد. [٣٧]

أما أريد بالدليل الشرعي أنه ما أباحه الشرع وأذن فيه فيدخل في ذلك ما أخبر به الرسول ﷺ، وما دل عليه وفيه عليه القرآن الكريم وما شهدت به

---

[٣٦] ابن تيمية : **درء تعارض العقل والنقل**، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، ج ١، القسم الأول، مطبعة دار الكتب، ١٩٧١، ص ١٨٩-١٩١.

[٣٧] سورة فصلت : ٥٣.

الموجودات وما دلت عليه. وكذلك نرى "تعليم صلوات الله عليهم جامع للأدلة العقلية والسمعية."[٣٨]) ومن هنا كان الشرع متفقا مع العقل، والعقل متفقا مع الشرع أيضا. ومع ذلك لا تصح معارضة الشرع بالعقل، ولا تقديم العقل على الشرع لأن كل من يعارض كتاب الله المنزل بغير كتاب الله الذي قد يكون ناسخا له أو مفسرا له، يكون قد جادل في آيات الله بغير دليل شرعي، لقوله تعالى :

"الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار." [٣٩] (غافر: ٣٥)

وتظهر معالم المنهج السلفي في الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف الله بها نفسه في كتابه العزيز، ووصفه رسوله ﷺ دون نقص منها ولا زيادة، ولا تفسير لها ولا تأويل لها بما خالف ظاهرها ولا تشبيه له بصفات المخلوقين بل أمروها كما جاءت، وردوا علمها إلى قائلها ومعناها إلى المتكلم بها.[٤٠]

---

[٣٨] ابن تيمية : **فتاوى** ، ج ٩، الطبعة الثانية، الرياض، ص ٢٢٦-٢٢٧ انظر كتابي : **درء تعارض العقل والنقل**، ص ١٩٩، **ومعارج الوصول**، ص ٤، لابن تيمية.

[٣٩] ابن تيمية : **درء تعارض العقل والنقل**، ج ١، ص ١٩٠-١٩٩، **وموافقة صريح المعقول لصريح المنقول**, ج ١، ص ١١٥.

[٤٠] ابن تيمية : **نقض المنطق**، تحقيق الشيخ محمد بن عبد الرازق حمزة والشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع، مكتبة المحمدية، القاهرة ١٩٥١، ص ٢. وأيضا كتاب "**قواعد المنهج السلفي**، للدكتور مصطفى حلمي، ص ٢٥٤.

ومن هذا السياق يمكن أن نفهم طريقة السلف في إخضاع العقل للنصوص الدينية، حيث يكون مشاهدا لها ولا يكون حاكما عليها، ويكون مقرا مؤيدا لها ولا يكون ناقضا ولا رافضا، بل يكون موضحا ومبينا لها.

القاعدة الثانية : رفض التأويل الكلامي

إنه لمن المعلوم أن أغلب المتكلمين ينهجون منهج التأويل في فهم الدين، فيجعلون العقل أساسا لتفسير النصوص مقدما على الشرع. وإن بدا أن هناك تعارضا بينهما اعتمدوا على تأويل النصوص الدينية من الكتاب والسنة أو حرفوها إلى ما يوافق عقولهم، ولذا رفض السلف هذا التأويل، لأنهم –في منهجهم– يكتفون بأن يحتكموا إلى النصوص الدينية أولا ثم كلام الصحابة في فهم الدين. وأما المفاهيم العقلية فيجب أن تكون خاضعة للنصوص، ولا يمكن أن تعارضها أو تقدم عليها.[٤١]

وذلك لأن العقل –يعتبره السلف– أمرا يقوم بالعاقل، سواء سمي عرضا وصفة، وسواء جوهرا أو جسما، وليس عينا قائما بنفسه كلما يعتبره الفلاسفة.[٤٢] والعقل كما هو معروف، وكما يرى الدكتور الغمراوي، أن العقل عاجز عن الإحاطة بالحقائق التي أوردها الدين، لأن الدين صادر عن خالق الإنسان، وليس صادرا عن عقل الإنسان لأنه قاصر.[٤٣]

---

[٤١] د./ مصطفى حلمي : المصدر السابق، ص ٢٥٧.

[٤٢] ابن تيمية : **فتاوى** ، ج ٩، الطبعة الثانية، ص ٢٧١.

[٤٣] الغمراوي : **الإسلام في عصر العلم**، ص ١٠٩، **وقواعد المنهج السلفي** ص ٢٥٧.

ومن الأدلة التي يمكن أ، نبرهن على صحة رفض السلف للتأويل الكلامي ما ورد في كتاب "الرد على الجهمية والزنادقة" للإمام أحمد بن حنبل حيث أنه قد رد على بطلان تأويل الجهمية والقدرية والمعتزلة لآيات الصفات وتفسيرها حسب أهوائهم وعقولهم.

وكذلك قاوم البخاري هؤلاء المتكلمين المعطلين الضالين مقاومة عنيفة، وذلك بتصنيف كتاب "خلق أفعال العباد" وكتاب "التوحيد والرد على الجهمية".[٤٤] وبهذا الرد الفعال أصلح الإمام أحمد والبخاري المفاهيم الخاطئة لدى المتكلمين، ووضحا لهم مفهوم العقيدة الإسلامية الصحيحة.[٤٥] وسلك ابن قتيبة والدارمي وغيرهما من السلف نفس المنهج في مجابهة الأفكار الدخيلة على الإسلام، المخالفة للنصوص والدفاع عن دينهم.

ومن هذا المنطلق يقف السلف موقفا رافضا ومعارضا إزاء تأويل الجاهلين وتحريف الغالبين وانتحال المبطلين، ويدحضون أدلتهم بالأدلة النقلية القاطعة والأدلة العقلية الصريحة. وذلك لأن المنهج السلفي يلتزم إلتزاما جذريا بالكتاب والسنة ويجعلهما ميزانا لفهم أصول العقيدة، ولفهم الدين بوجه عام.

ولذلك كان السلف يتعلمون منهما "الكتاب والسنة" وبهما يتكلمون وفيهما ينظرون. وبهما يستدلون، و لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقولة ولا يؤسس دينا غير ماجاء به الرسول ﷺ.

ولكن المتكلمين ينهجون منهجا مخالفا لهذا المنهج السلفي فهم يعتمدون على ما يرونه بعقولهم، ثم ينظرون في الكتاب والسنة و إن وجدوا النصوص

---

[٤٤] د./ علي سامي النشار وعماد جمعي الطالبي، **عقائد السلف**، ص ١٣، ص ٣.

[٤٥] د./ مصطفى حلمي : المصدر السابق، ص ٢٥٩.

توافقهم اخذوا بها، وإذا وجدوها تخالفهم أعرضوا عنها تفويضا أو حرفوها تأويلا.[٤٦]

القاعدة الثالثة : الاستدلال بالآيات القرآنية

إن القرآن الكريم في حقيقة الأمر لا يدل على طريقة الخبر المحض، وإنما هو مملوء بالأدلة العقلية والبراهين اليقينية على المعارف الآلهية والمطالب وفي طريقة الاستدلال حث القرآن الإنسان على النظر والتفكير في ملكوت السماوات والأرض وحضه على كشف أسرار مخلوقات الله تعالى، وأشاد بالعلم والمعرفة للوصول إلى إثبات وجود الله ووحدانيته أي الإيمان بالله. ومن هنا كان المسلمون الأوائل يقرون بأنهم اكتفوا بالقرآن الكريم في اتخاذه دليلا وهاديا في كافة أمورهم إلى جانب السنة.[٤٧]

والآيات القرآنية التي تشير إلى ذلك كثيرة، منها قوله تعالى :

"أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها، ومالها من فروج."[٤٨]

وقوله تعالى :

أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون، أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون."[٤٩] وقوله تعالى:

---

[٤٦] ابن تيمية : **الفرقان بين الحق والباطل**، ص ٥٢، وانظر كتاب **معارج الوصول**، لابن تيمية، ص ٢.

[٤٧] د./ مصطفى حلمي : المصدر السابق، ص ٢٥٩.

[٤٨] سورةٌ : ٦

[٤٩] سورة الطور : ٣٥-٣٦.

"إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون."[٥٠]

وإذا كانت الآية الأولى والثانية تدلان صراحة على إيقاظ الفكر ودعوة للنظر والتأويل، تكون النتيجة أن يصل الإنسان بهذا التفكير إلى أن لهذا العالم – أرضه وسمائه وما بينهما– خالقا يستحق وحده أن يكون المعبود، وأما الآية الثالثة فتدل على أن هذا العالم لم يوجد وحده بمحض الصدفة أو من الطبيعة، بل هو عمل خالق يستحق أن يعبد وحده.

وهذا النوع من الدليل نجد فيه الدعوة القوية إلى وجوب الملاحظة والتفكير في الوجود المشاهد، للوصول من ذلك بالعقل إلى المجهول، أي أن وسائل هذا الضرب من المعرفة يقينية لا شك فيها.[٥١] ومن هذا فإننا نجد القرآن الكريم يقول بقوة في مطلع الآية "أفلم ينظروا إلى السماء" كما يقول في موضع آخر:"وفي الأرض آيات للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون"...[٥٢] ومعنى هذا كما هو واضح، وجوب الملاحظة والتفكير فيما يحسه وشاهده.

وقد تعددت طرق القرآن العظيم في دعوة الإنسان إلى لإيمان بالله، فهو تارة يخاطب عقله ويقنعه بالمنطق، ويقدم له الدليل[٥٣]، كقوله تعالى :

---

[٥٠] سورة البقرة : ٢٦٤.

[٥١] محمد يوسف موسى : **القرآن والفلسفة**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٥٦.

[٥٢] سورة الذاريات : ٢٠-٢١.

[٥٣] د./ مصطفى حلمي : **قواعد المنهج السلفي**، ص ٢٦٠.

"خلقناكم فلولا تصدقون، أفرأيتم ما تمنون، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون، نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين.[٥٤]

ومن الواضح أن القرآن الكريم يستدل هنا على الخالق، بخلق الإنسان، فالإنسان يخلق من نطفة، ثم تصير علقة ثم مضغة، وهذه المضغة يصير منها الإنسان، ورغم أن هذا التطور العجيب إلا أنه دليل عقلي مشاهد ملموس يعلمه البشر كافة بعقولهم، سواء أخبر به الرسول أم لم يخبر، فهو إذن دليل عقلي، لأن بالعقل تعلم صحته، وبالإضافة إلى كونه عقليا فإنه دليل شرعي أيضا، لأن الشارع استدل به، وأمر يستدل به.[٥٥]

وبهذه القاعدة المنهجية استطاع السلف أن يحددوا موقفهم في مواجهة علماء الكلام والفلاسفة، الذي تمسكوا بتأويلاتهم الكلامية والفلسفية، وأما السلف فقد التزموا بالأدلة القرآنية، "وكان ابن تيمية من أدق المستخدمين لهذه القاعدة، ثم امتدت طريقته السلف حتى وقتنا هذا".[٥٦]

هذه هي القواعد المنهجية للسلف التي دعمها ووضحها ابن تيمية شرعا وعقلا والتي تميز السلف عن باقي الفرق الكلامية والمذاهب الفلسفية، وإذا كنا قد وضحنا قواعد المنهج السلفي فإننا سوف نوضح معلم هذا المنهج ,أصوله لدى الإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية، في الفصل التالي، بعد أن نلقي الضوء على خصائص السلفية وهدفها

---

[٥٤] سورة الواقعة : ٥٧ – ٦٠١.

[٥٥] ابن تيمية : **النبوات**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م – ١٤٠٢ هـ ، ص ٧٢.

[٥٦] **قواعد المنهج السلفي**، المصدر السابق، ص ٢٦٣.

ثالثا : خصائص السلفية وهدفها

سبق أن تكلمنا عن قواعد المنهج السلفي التي بها يمكن أن نميز بين السلف وغيرهم من الفرق الكلامية والمذاهب الفلسفية، وهذه القواعد توضح لنا طريقة السلف في فهم الإسلام ودراسة عقائده، والسلفية بهذه القواعد المحددة لم تعد مقصورة على عصر معين، ولكنها تمتد عبر العصور بما في ذلك العصر الحديث. ويمكن القول بأن قواعد المنهج السلفي هي المقياس الذي نستطيع على أساسه أن نميز بين السلفيين وغيرهم وبعبارة أخرى هي المعيار الذي نستطيع أن نستدل به على أتباعها. ولعلنا نستطيع من خلال التأمل في أقواله السلف واجتهاداتهم أن نستخلص خصائص السلفية وهدفها كما استخلصه الدكتور مصطفى حلمي في كتابه "قواعد المنهج السلفي" وتتلخص فيما يلي :

الخاصة الأولى : الشمول

كانت تعاليم الإسلام في عهد الرسالة وحدة متماسكة لا تنفصل بعضها عن بعض، وشاملة لجميع جوانبها. و لم يحدث خلاف بين الصحابة في أصول العقيدة لأن الرسول ﷺ كان يعيش بينهم فكانوا يرجعون إليه إذا التبس عليهم أمر من أمور الدين، فيبنيه ويوضح لهم. وظل الأمر كذلك في عهد الخلفاء الراشدين، و لم يحدث خلاف بين المسلمين حول العقيدة، ولكن ظهرت بعض الخلافات بينهم حول أمور تشريعية أو عملية، وكان أخطر هذه الخلافات الخلاف حول الإمامة وقد أدى هذا الخلاف إلى ظهور حزب الخوارج والشيعة بعد معركة "صفين"، كما أدى إلى الخوض في مسائل العقيدة وظهر الخلاف فيها، وامتد ذلك العصور التالية، وكان من نتيجة ذلك أصبحت دراسات الإسلام متجزئة إلى جوانب متعددة.

وكان السلف من الصحابة المجاهدين في سبيل رسالة الإسلام يفهمون الإسلام فهما شاملا دقيقا، ومما يصور ذلك موقف ربعي بن عامر حين دخل على قائد الفرس رستوم في القادسية للمفاوضة قبل بدء القتال، أراد القائد الفارسي أن يثني القائد المسلم وأصحابه عن القتال بإغرائهم بالمال، كان جواب هذا الصحابي: "ما لهذا جئنا، الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

ويظهر من هذا الجواب القصير أنه أرادة أن يشرح للعدو بأن الإسلام جاء بهداية الله الجديدة، ليخرج الناس من الظلمات إلى النورأ وأن تعاليمه كانت متكاملة وشاملة لجوانبه المختلفة التي منه الجانب العقائدي والعبودي، والجانب النفس الأخلاقي، والجانب الاجتماعي والسياسي، وكذلك جانب أحكام التشريع المالي ولسياسي.[٥٧]

اعتمادا على هذا الفهم سار السلفيون في كل العصور، بل إنهم بدأوا في العصر الحديث العمل في الحياة الإسلامية طبقا لهذه النظرة المتكاملة والشاملة لكل جوانب الإسلام. ولذا فإنهم رفضوا تجزئة الإسلام إلى دوائر الفقه والكلام والفلسفة والتصوف، وإلى جانب هذا فإنهم اتفقوا في محاربة البدع والانحرافات وسمات الكهنوت وصور الخرافات كلها، وذلك بعد أحسن وسيلة للنهوض الاتقاء إلى حياة أفضل.[٥٨]

---

[٥٧] انظر : **قواعد المنهج السلفي** : للدكتور مصطفى حلمي، ص ٢٦٥ نقلا عن كتاب محمد المبارك, **نظام الإسلام في العقيدة و العبادة.**

[٥٨] **قواعد المنهج السلفي**، ص ٢٦٦-٢٧٢.

الخاصية الثانية : الأصالة لا التقليد

حاول بعض المسلمين في هذا العصر الحديث أن يقلدوا الغرق في جميع المجالات باحثين عن التقدم والحضارة، فرضوا بأن يفنوا شخصياتهم الإسلامية تحت بريق الشخصيات الغربية، حتى نسوا أصالتهم وأضاعوا ذاتيتهم، مع أن فلاسفة الغرب أنفسهم في الوقت الحالي وقعوا في قلق شديد إزاء حضارتهم وأدركوا م تنطوي عليه من مخاطر قد تؤدي إلى سقوطها، ولهذا فإنهم يبحثون عن ملجأ أو سبيل يمكن أن ينقذهم من الهلاك والدمار.

ولذا كان المسلمون عامة والسلف خاصة يرفضون تقليد الغرب باحثين عن الأصالة، لأن الأصالة لا تأتي بترقيع الشخصية بل بالارتباط الوثيق بالعقيدة التي كانت حجر الزاوية في كيان هذه ا لأمة.[٥٩]

ونقصد بالأصالة هنا، العودة إلى المنابع الأولى والمصدر الأول الأكبر وهو الكتاب والسنة, والخروج من التقليد والتبعية والولاء للأجنبي الوافد تحت بريق العصية وأهواء النفس ومطامع الحياة، وذلك لأن القرآن قد أعطى المسلمين القوة القادرة على لمحافظة على الذاتية والشخصية في مواجهة التحديات وخاصة التحدى الحضاري الأجنبي وفي كل الأزمات كانت كلمة الله هي المصدر الأول والضابط الوحيد لكل التحركات والخطوات.[٦٠]

وكانت الأصالة أساسا للتقدم ووجهة للمعاصرة في إطار الثوابت والإسلام لا يقر نظرية الغرب عن مفهوم روح العصر التي تحاول أن تخضع

---

[٥٩] المصدر السابق، ص ٢٧١.

[٦٠] أنور الجندي : **العودة إلى المنابع**، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٣.

الثوابت للتغير، وإنما هو يقر نظرية الحركة في إطار ثابت هن القيم الأساسية. ,اخطر التحديات في وجه الأصالة هي إذابة المسلمين في الفكر الأعمى. فالتماس المنابع هو بمثابة حصانة الأصالة التي تحول دون دخول أي فكر مدمر[٦١] كالفكر المادي والعلماني والإلحادي وغيرها، وذلك لأن الإسلام يرفض أي اتجاه فكري خطير وهدام.

وعندما رفضنا الحضارة الغربية السلبية فإننا رفضناها على أساس أن للغرب مبادئ وفلسفات الحياة تخالف مبادئنا الرئيسية تمام المخالفة، بما فيها من عقيدة والتوحيد والإيمان بالله وإفراده بالألوهية والربوبية وماهية الإنسان والغرض من خلقه وبيان مآله في اليوم الآخر.[٦٢] وبعبارة أخرى لأن الحضارة الغربية مبنية على عقيدة الوثنية والمادية وأما الحضارة الإسلامية فمبنية على عقيدة التوحيد.

ويلاحظ أن قضية الأصالة وعدم التقليد عند السلفية ترتبط ارتباطا وثيقا بقضية التقدم.

فالتقدم إذا أردنا تعريفه أو تحديده الإيجاز، يتلخص في التمسك بالأصالة التي تعني الرجوع إلى المصادر الأولى النهل من الينابيع الأصلية، وسيتضح هذا الفهم بجلاء أكثر عندما نتحدث عن الخاصية الثالثة.

الخاصية الثالثة : التقدم لا الرجعية

هذه الخاصية تتصل بسابقتها اتصالا وثيقا، لأنها بمثابة همزة وصل واستمرار لبيان الخاصية الثانية بكل التفصيل.

---

[٦١] المصدر السابق، ص ٥.

[٦٢] **قواعد المنهج السلفي**، ص ٢٧٢.

من العجيب أن يزعم خصوم الإسلام بعامة وخصوم السلفية بخاصة، أن السلفية دعوة رجعية تقليدية، وأن على المسلمين إذا أرادوا أن يتقدموا أن يجددوا الإسلام مسايرة للمعاصرة بمناهج غربية مادية تحي الفكرة الفلسفي والباطني وتفسر حركاته بأنها تقدمية تحررية، فالعودة للأصالة عندهم رجعية، وهذا الزعم خاطئ حقا يكذبه التاريخ الواقع.

فالتجديد في الفكر الإسلامية بمفهوم سليم هو ارتقاء وتقدم بالأمة لتسلك طريقها مرة أخرى، كلما بعدت عن الصحيح الأصيل المتوارث.[٦٣] ولعل هذه الرأي مستنبط من الحديث النبي الشريف :"ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها" وبعبارة أخرى أن التجديد هو العودة إلى الأصالة والمنابع الأولى.

وهذه هي مطردة للعلاقة بين تقدم المسلمين وتمسكهم بالإسلام وبالعكس تأخرهم مرتبط بالبعد والانسلاخ عنه، فالعلاقة بينهما علاقة المد والجذر مع الإسلام.[٦٤]

وإذا كان تقدم المسلمين مرهونا بتمسكهم بالشريعة الإسلامية، فتطبيقها يمكن أن يعتبر نوعا من التقدم، سواء كان في الجانب المادي أو المعنوي، وبالعكس تأخرهم عند عدم تطبيقها كما ينبغي.

ومن هان نوافق على ما صرح به الأمير شكيب أرسلان بقوله : "فتأخر المسلمين في القرون الأخيرة لم يكن من الشريعة بل من الجهل بالشريعة أو من

---

[٦٣] المصدر السابق، نفس الصفحة.

[٦٤] **قواعد المنهج السلفي**، ص ٢٦٦-٢٦٧.

عدم إجراء أحكامها كما ينبغي، وكلما كانت الشريعة جارية على حقها كان الإسلام عظيما غزيزا.[٦٥]

فمفهوم التقدم الذي أقره الإسلام وحث عليه، وهو اكتساب الفضائل ونبذ الرذائل لتمكين الإنسان من تحقيق مقام الخلافة في الأرض محددا الضوابط والمعايير التي لا تتغير أو تتبدل بتغير الزمان والمكان.

إن الكتاب والسنة متضمنان الأوامر والنواهي التي تشتمل على إرشادات وتنبيهات وتوجيهات الإنسانية دقيقها وجليلها، في صورتها الفردية والاجتماعية، فأشارت بذلك إلى منارات التقدم الحقيقي لكي يهتدي بها الإنسان.[٦٦]

إذا كان معيار التقدم عند الغرب منحصرا على الناحية المادية فإن معيار التقدم في الإسلام يشتمل على الناحية المادية و الروحية على السواء. لأن الإسلام يعالج الإنسان ككيان متكامل، لا يفصل بين المادة والروح، ولن تتحقق سعادة الإنسان الدنيوية والأخروية عند الفصل بينهما، ولذا يكون دعاء المسلم دائما : "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار" وهذا هو التقدم الحقيقي في الإسلام.

ومن هذا المنطلق، فإن أصحاب المنهج السلفي لا يمنعون اطلاقا فتح النوافذ على العلوم التجريبية، والاستفادة من النتائج العلمية والاكتشافات الباهرة في حقل الاختراعات والتكولوجيا الحديثة لأن هذه أمور مفيدة لدعم الرسالة الإسلامية وتعاليمها، إلى جانب أنهم تحمل الحياة وتذلل الصعوبات، بل أننا

---

[٦٥] الأمير شكيب أرسلان : **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم**، المركز السلفي للكتاب، القاهرة، ١٩٨١، ص ٧٥.

[٦٦] د./ مصطفى حلمي : **السلفية**، ص ٢٤٥-٢٤٦.

مأمورون بأن نسعى في الأرض لتحقيق مقام الخلافة فيها، وأن النتاج العلمي لعلماء الإسلام يشهد بتنفيذهم لأوامر القرآن الكريم.[٦٧]

ومن هنا يتضح لنا أن السلفية في الواقع لا تتعارض مع التقدم ودعوتها للعودة إلى الأصالة والمنابع الأولى أمر صحيح يقره الدين وواقع المسلمين. وهذا هو منهج سليم في سبيل حياة أفضل دينوية وأخروية، ولذا يجب على المسلم الواعي تطبيقها عمليا.

خاتمة

هذه هي خصائص السلفية الثلاث التي بيناها، أما هدف السلفية فيتلخص في "تطهير العقيدة من شوائب البدع، وتربية الشخصية الإسلامية وفتح الذهن البشري لقبول كل جديد في ميادين العلوم التجريبية، وإحياء العقيدة من منابعها بعيدا عن المذهبية الضيقة بصورتها في العصور الأخيرة، أو تطويع العقدية والشريعة في الإسلام لدعاوى التطور الخاطئة، ورفض فكر لا دينية الدولة." [٦٨])

وبعد هذا كله نصل إلى الخلاصة : بأن السلفية اتجاه فكري، يمثل الإيمان الخالص، بما ورد في الكتاب والسنة عاش على مر العصور يرى العقيدة على بساطتها، يلتمسها من مظانها في القرآن والسنة بين خضم هائل من التعقيد الفلسفي والكلامي، معرضا عن منهج السلف، الكتاب والسنة إيمانا وعملا واتباعا لأن كل ما قرب من عصر الدعوة كان أجدر بالحق والاقتداء.

---

[٦٧] .: **قواعد المنهج السلفي**، ص ٢٧٠.

[٦٨] أنور الجندي : **الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا**، وأيضا : **قواعد المنهج السلفي**، ط-١، ص ٥٦.

المراجع

ابن تيمية : **نقض المنطق**، تحقيق الشيخ محمد بن عبد الرازق حمزة والشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع، ، (القاهرة: مكتبة المحمدية، ١٩٥١)

ابن تيمية ، **درء تعارض العقل والنقل**، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، القسم الأول،(لبنان: مطبعة دار الكتب، ١٩٧١)

ابن قتيبة الدينوري : **المعارف**، الجزء الأول، (القاهرة: دار النهضة الإسلامية ، ١٩٥٤)

الجندي، أنور، **الإسلام والثقافة العربية في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب**، (القاهرة: مطبعة الرسالة، بدون تاريخ،)

الجندي، أنور: **العودة إلى المنابع**، (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٨٤)

الجليند، محمد السيد، **دراسة في مذهب السلف**، (القاهرة :كلية دار العلوم ١٩٧٦)

الشهرستاني، **الملل والنحل**، تحقيق محمد سيد كيلاني، (القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٦)

الغزالي، الشيخ محمد ، **دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين**،(القاهرة: **دار الأنصار**، ١٤٠١ هـ)

النشار، على سامي وعمار جمعي الطالبي : **عقائد السلف**، (الاسكندرية: منشأة المعرفة، ، ١٩٧١)،

أرسلان، الأمير شكيب: **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم**، (القاهرة: المركز السلفي للكتاب، ١٩٨١)

حلمي، مصطفى، **قواعد المنهج السلفي**،(الاسكندرية: دار الدعوة، ١٩٨٤)، الطبعة الثانية

مؤنس، حسين : **الحضارة**, (الكويت: عالم المعرفة، ١٩٧٨)